فتح البيان

في مقاصد القرآن

تفسير سلفي أثري خال من الإسرائيليات والجدليات المذهبية والكلامية
يغني عن جميع التفاسير ولا تغني جميعها عنه

تأليف

السيد الإمام العلامة الملك المؤيد من الله الباري
أبي الطيب صديق بن حسن بن علي الحسيني القنوجي البخاري
"١٢٤٨-١٣٠٧هـ"

عني بطبعه وقدم له وراجعه
خادم العلم
عبد الله بن ابراهيم الأنصاري

الجزء العاشر

المكتبة العصرية
صيدا - بيروت

جميع الحقوق محفوظة

١٤١٢هـ - ١٩٩٢م

شركة أبناء شريف الأنصاري للطباعة والنشر والتوزيع

المكتبة العصرية للطباعة والنشر

الدار النموذجية — المطبعة العصرية

بيروت - ص.ب ٨٣٥٥ - تلكس LE ٢٠٤٣٧ SCS
صيدا - ص.ب ٢٢١ - تلكس LE ٢٩١٩٨

﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (١٠) وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (١١) ۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ (١٢)﴾

﴿وأصبح﴾ أي صار ﴿فؤاد أم موسى فارغاً﴾ من كل شيء إلا من أمر موسى ؛ كأنها لم تهتم بشيء سواه ، قاله المفسرون . وقال أبو عبيدة : خالياً من ذكر كل من في الدنيا إلا من ذكر موسى ، وقال الحسن ، وابن اسحق وابن زيد : فارغاً مما أوحى الله اليها من قوله: ولا تخافي ولا تحزني ، وذلك لما سول الشيطان لها من غرقه وهلاكه ، وقال الأخفش : فارغاً من الخوف والغم لعلمها أنه لم يغرق بسبب ما تقدم من الوحي اليها ، وروي مثله عن أبي عبيدة ايضاً ، وقال الكسائي : ناسياً ذاهلاً ، وقيل صفراً من العقل ، وقال العلاء ابن زياد: نافراً.

وقال سعيد ابن جبير : والهاً ، كادت تقول وإبناه من شدة الجزع .

وقال مقاتل : كادت تصيح شفقة عليه من الغرق .

وقيل : المعنى أنها لما سمعت بوقوعه في يد فرعون طار عقلها من فرط الجزع والدهش .

قال النحاس : وأصح هذه الأقوال الأول والذين قالوه أعلم بكتاب الله فإذا كان فارغاً من كل شيء إلا من ذكر موسى ، فهو فارغ من الوحي . وقول من قال فارغاً من الغم غلط قبيح . لأن بعده إن كادت لتبدي به ، لولا أن ربطنا على قلبها ، وقرىء فزعاً مكان فارغاً ، من الفزع ، أي خائفاً وجلاً وقرأ ابن عباس : قرعاً من قرع رأسه إذا انحسر شعره .

﴿إن كادت لتبدي به﴾ من بدا يبدو إذا ظهر ، وأبدى يبدي أي أظهر والمعنى لتظهر أمر موسى ، وانه ابنها من فرط ما دهمها من الدهش ، والخوف والحزن وقيل: الضمير في (به) عائد الى الوحي الذي أُوحي إليها ، والأول أولى وقال الفراء : لتبدي باسمه لضيق صدرها ، وقال ابن عباس : تقول يا ابناه وقيل الباء زائدة للتأكيد،والمعنى لتبديه ، كما تقول أخذت الحبل وبالحبل ، وقيل المعنى لتبدي القول به .

﴿لولا أن ربطنا على قلبها﴾ بالعصمة والصبر والتثبت ، قال الزجاج : معنى الربط على القلب إلهام الصبر وتقويته ، وجواب لولا محذوف أي لأبدت .

﴿لتكون من المؤمنين﴾ أي ربطنا على قلبها لتكون من المصدقين بوعد الله وهو قوله إنا رادوه اليك قال يوسف بن الحسين: أمرت أم موسى بشيئين ، ونهيت عن شيئين وبشرت بشيئين فلم ينفعها الكل حتى تولى الله حياطتها فربط على قلبها .

﴿وقالت﴾ أم موسى ﴿لأخته﴾ وهي مريم ، وقال الضحاك إن اسمها كاتمة وقال السهيلي كلثوم ، ذكره الماوردي ﴿قصيه﴾ أي تتبعي أثره واعرفي خبره وانظري أين وقع ؟ والى من صار ؟ يقال قصصت الشيء إذا اتبعت أثره متعرفاً لحاله .

﴿فبصرت به﴾ أي أبصرته . قال المبرد : أبصرته وبصرت به بمعنى،وقرىء (بصرت﴾ بفتح الباء وضم الصاد وقرىء بفتحها وبكسرها ﴿عن جنب﴾ أصله عن مكان جنب ومنه الأجنبي وقيل: المراد بقوله عن جنب عن جانب قاله ابن عباس،والمعنى أنها أبصرت اليه متجانفة مخاتلة ، وقرىء عن جانب أي بصرت به مستخفية ، كائنة عن جنب ، أو بعيداً منها وقرىء بضمتين وبضم الجيم وسكون النون،وقال أبو عمرو بن العلاء : إن معنى عن جنب عن شوق

قال : وهي لغة جذام ، يقولون : جنبت اليك أي اشتقت اليك .

﴿وهم لا يشعرون﴾ أنها أخته ؛ وأنها تقصه ، وتتبع أثره ، أخرج الطبراني ، وابن عساكر عن أبي أمامة أن رسول الله ﷺ قال لخديجة: أما شعرت أن الله زوجني مريم بنت عمران ؛ وكلثوم أخت موسى ، وامرأة فرعون ؟ قالت: هنيئاً لك يارسول الله ، واخرجه ابن عساكر عن ابن رداد مرفوعاً بأطول من هذا وفي آخره أنها قالت : بالرفاء والبنين .

﴿وحرمنا عليه المراضع﴾ جمع مرضع ، وقيل : جمع مرضع ، بفتح الضاد: هو الرضاع ، أو موضعه وهو الثدي ، أي : منعناه أن يرضع من المرضعات جعله مجازاً إما استعارة أو مرسلاً ، لأن من حرم عليه شيء فقد منعه لأن الصبي ليس من أهل التكليف .

﴿من قبل﴾ أي : من قبل أن نرده الى أمه أو من قبل أن تأتيه أمه ، أو من قبل قصها لأثره، قال ابن عباس : لا يؤتى بمرضع فيقبلها ، وقد كانت امرأة فرعون طلبت لموسى المرضعات ليرضعنه فلم يرضع من واحدة منهن .

﴿فقالت﴾ أخته لما رأت امتناعه من الرضاع وحنوهم عليه ﴿هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم ؟﴾ أي يضمنون لكم القيام به وإرضاعه ، وهي امرأة قتل ولدها ، وأحب شيء اليها أن تجد ولداً ترضعه .

﴿وهم له ناصحون﴾ أي مشفقون عليه لايقصرون في إرضاعه وتربيته ، والنصح : إخلاص العمل من شائبة الفساد ، وفي الكلام حذف أي : قالوا لها : من هم ؟ فقالت : أمي فقيل : وهل لأمك ابن ؟ قالت : نعم ابن اخي هارون ، وكان ولد في السنة التي لا يقتل فيها فدلتهم على أم موسى فدفعوه اليها فقبل ثديها ورضع منه ، قيل: كانوا يعطونها كل يوم ديناراً ، وإنما حل لها ما تأخذه لأنه مال حربي لا أنه أجرة على ارضاع ولدها .